

ريسبونسل ستيت كرافت: لماذا لا تستطيع مصر ولن تفتح أبوابها مع غزة؟



نشرت مجلة ريسبونسل ستيت كرافت التابعة لمعهد كوينسي تقريراً للكاتب جورجيو كافيريو يتناول التي تجعل من الصعب على مصر فتح أبوابها لسكان غزة.

يلفت الكاتب في مستهل تقريره إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو تعهد بشن غزو لمدينة رفح، المدينة الواقعة على طول الحدود بين غزة ومصر والتي يأوي إليها حالياً أكثر من 1.5 مليون فلسطيني.

ويقول الكاتب إن المخاطر التي تواجهها مصر عالية للغاية بالنظر إلى مدى زعزعة الاستقرار من غزة إلى شبه جزيرة سيناء. ومن المفهوم أن القاهرة تريد أن تنتهي هذه الحرب على الفور.

تداعيات محتملة

ويشير الكاتب إلى إمكانية أن يؤدي تدفق أعداد كبيرة من اللاجئين إلى سيناء من غزة إلى قيام الفلسطينيين بشن مقاومة مسلحة ضد إسرائيل من الأراضي المصرية - وهو سيناريو مرعب من وجهة نظر القاهرة. ولا تريد مصر أيضاً أن يُنظر إليها على أنها تقبل اللاجئين الفلسطينيين مقابل أموال من الولايات المتحدة، الأمر الذي من شأنه أن يساهم في تعزيز التصورات في «الشارع العربي» بأن حكومة الرئيس عبد الفتاح السيسي متواطئة في «النكبة الثانية».

ويرى الكاتب أن فهم مدى تعرض مصر للتداعيات من غزة يتطلب النظر في تحديات السياسة الخارجية الأخرى التي تواجهها القاهرة أيضاً. فقد أدى تمدد حرب غزة إلى البحر الأحمر إلى الإضرار بالاقتصاد المصري في شكل خسارة إيرادات قناة السويس مع تغيير مسار السفن لتجنب قناة السويس تماماً. بالإضافة إلى ذلك، ليست أزمة رفح هي الأزمة الأمنية الحدودية الوحيدة التي يعاني منها المسؤولون المصريون.

وأشار كينيث كاتزمان، أحد كبار الباحثين في مركز صوفان، في مقابلة مع المجلة: «لدى مصر مشكلة السودان في الجنوب، وهي حالة من الفوضى.

أما في الغرب، فتعيش ليبيا في حالة من الفوضى أيضاً. إذن، في الأساس، في كل مكان تنظر إليه مصر الآن يمثل مشكلة. هناك أيضاً قضية سد النهضة».

دور الولايات المتحدة

ويقول الكاتب إن الدبلوماسية المصرية لعبت دوراً أساسياً في الجهود الرامية إلى تنفيذ وقف إطلاق النار، والتفاوض على تبادل الأسرى، وتسليم المساعدات الإنسانية إلى غزة منذ بداية الحرب. ونتيجة لذلك، ترى إدارة بايدن أن مصر أصبحت لا غنى عنها أكثر من أي وقت مضى. والجدير بالذكر أن بايدن وفريقه لم ينتقدوا مؤخراً سجل حكومة السيسي في مجال حقوق الإنسان، وهو ما يتناقض بشكل كبير مع خطاب بايدن وقال إن كان مرشحاً رئاسياً.

ويتفهم البيت الأبيض مخاوف القاهرة وموقف بايدن هو أنه لا ينبغي لإسرائيل أن تشن هجوماً واسع النطاق على رفح دون ضمان سلامة الفلسطينيين الذين يحتمون هناك. ومع ذلك، تترك القاهرة بالطبع أن إدارة بايدن لا تملك سوى قدر كبير من السيطرة على الوضع. وإدراكاً لمدى النفوذ الذي تتمتع به واشنطن فعلياً على تل أبيب، تشعر مصر بالإحباط من رفض بايدن الضغط على إسرائيل بشكل أكبر لتغيير سلوكها.

وقال تشارلز دون، الدبلوماسي الأمريكي السابق الذي خدم في القاهرة وتل أبيب إن «دعم واشنطن لمصر على هذه الجبهة يقتصر على توضيح معارضتها لأي نقل واسع النطاق للاجئين، قسرياً أو غير قسري، دائماً أو مؤقتاً».

وأضاف: «إنها تتراجع عن الحديث في إسرائيل - غير الرسمي حتى الآن - عن أن النقل الجماعي للسكان يمكن أن يكون جزءاً من الحل لمشكلة إسرائيل في غزة».

وقال الأستاذ في جامعة الدفاع الوطني في واشنطن العاصمة لـ: «استنتاجي الشخصي هو أن من المحتمل أن المسؤولين الأمريكيين أوضحوا لنظرائهم المصريين أنه ستكون هناك حاجة حتماً للسماح لبعض سكان غزة بالدخول إلى مصر من أجل منع وقوع كارثة إنسانية أكبر مع قيام الإسرائيليين بتحريك العمليات العسكرية بالقرب من رفح». وأضاف: «أعتقد أن المصريين قلقون من أن يصبح وجود النازحين دائماً، ومن أن يُنظر إلى مصر على أنها تشجع العمليات العسكرية الإسرائيلية».

وإذا شنت إسرائيل هجوماً شاملاً على رفح وحدث نزوح جماعي للفلسطينيين إلى مصر، فمن المحتمل أن تساعد واشنطن القاهرة مالياً. لكن كاتزمان يعتقد أن البيت الأبيض من المرجح أن يركز بشكل أكبر على محاولة منع حدوث ذلك. وأوضح: «انطباعي هو أن إدارة بايدن لا تعالج حقاً فكرة ما إذا كان هناك تدفق للاجئين إلى سيناء، بينما أعتقد أن استراتيجيتها هي التأكد من عدم حدوث ذلك في المقام الأول».

وأضاف كاتزمان أن «الولايات المتحدة تشجع إسرائيل على التنسيق مع مصر إلى أقصى حد ممكن، وهو ما أعتقد أنه يحدث. لكن أبعد من ذلك، لا أعتقد أن الإدارة قامت بأي تخطيط لأنهم لا يتوقعون حدوث هذا السيناريو الأسوأ».

وأضاف: «تتبع القاهرة بالقلق من أن مجرد طرح الفكرة لأغراض التخطيط للطوارئ يمكن أن يُنظر إليه على أنه ضوء أخضر للجيش الإسرائيلي. ويبدو أن هذا هو ما نحن عليه الآن، وقد ركزت القاهرة على بناء منطقة عازلة محصنة على طول الحدود مع غزة لمنع حدوث أزمة للاجئين».

أزمة البحر الأحمر

وتطرق الكاتب إلى ما يعتبره جانباً آخر مهماً من العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر وسط حرب غزة وإضفاء الطابع الإقليمي عليها وهو الأزمة الأمنية في البحر الأحمر. فمنذ نوفمبر، أطلق الحوثيون صواريخ وطائرات مسيرة على السفن قبالة سواحل اليمن، بدعوى دعم غزة من خلال استهداف السفن المرتبطة بإسرائيل والولايات المتحدة والمملكة المتحدة. واعتباراً من الشهر الماضي، انخفضت إيرادات قناة السويس المصرية بنسبة 40 إلى 50 في المائة طوال الأزمة، وفقاً للسيسي.

وصرح جوردون جراي، سفير الولايات المتحدة السابق في تونس، أن هناك «حافزاً قوياً لمصر لمساعدة الجهود الأمريكية لضمان حرية البحار» بالنظر إلى ما هو على المحك لمصر فيما يتعلق برسوم قناة السويس وسط الهجمات البحرية الحوثية.

لكن على الرغم من النكسات الاقتصادية الناجمة عن الأزمة الأمنية في البحر الأحمر، لم تنضم مصر إلى عملية حارس الزدهار، ولم تلعب القاهرة أي

دور رسمي في حملة القصف التي تقودها واشنطن ضد الحوثيين والتي بدأت قبل شهرين تقريباً. وهذا ليس لأن القاهرة لا تشارك الغرب مخاوفه بشأن هجمات الحوثيين على السفن. بل على العكس من ذلك، تنفق مصر والولايات المتحدة بقوة على عدم السماح لأي جماعة يمنية بتعطيل الشحن البحري في المنطقة.

وفي الواقع، عندما أطلقت المملكة العربية السعودية عملية عاصفة الحزم في مارس 2015، ألزمت مصر قواتها البحرية بتوفير الأمن في البحر الأحمر وخليج عدن. في ذلك الوقت، أشار السيسي إلى البحر الأحمر باعتباره «بحيرة عربية» وحدد باب المنذب باعتباره مهماً «للأمن القومي المصري والعربي».

ويرجع عدم انضمام مصر رسمياً للعملية الأمريكية إلى أن الكثير من المصريين سيرون أن حكومتهم تتحالف بشكل علني مع واشنطن ولندن ضد الحوثيين بينما تسهل القاهرة حرب إسرائيل على غزة.

«لقد رفضت مصر الانضمام إلى عملية حارس الازدهار، على الرغم من أنه من الممكن أن تقدم مصر بعض المساهمات من وراء الكواليس، فإن أي مساهمة من هذا القبيل غير مرئية إلى حد كبير في الوقت الحالي»، وفقاً لدن.

ويعتقد ديروش أن المصريين ربما سمحوا للنحن باستخدام المجال الجوي المصري لقصف أهداف الحوثيين في اليمن.

وقال: «استقرأياً، أنا واثق من أن رحلات الدعم والاستخبارات وإعادة الإمداد الأمريكية ربما تعبر المجال الجوي المصري. لدي درجة أقل قليلاً من الثقة في أن المصريين يتبادلون المعلومات الاستخبارية وصورة العمليات المشتركة من أصولهم المختلفة لتحديد مسارات الصواريخ ومواقع الإطلاق. وربما يكون هذا الأمر محدوداً بسبب الافتقار إلى القدرة المصرية أكثر من أي قرار سياسي بعدم التعاون».

وفي نهاية المطاف، لا يزال التحالف بين الولايات المتحدة ومصر قوياً. لكن يجب على القاهرة أن تتعامل مع هذه العلاقة بمزيد من الحذر نظراً لدور واشنطن في تدمير غزة وعزلتها المتزايدة في العالم العربي الإسلامي.